

التراث الزخرفي للعُجْر حول العالم بين الماضي والحاضر

The Ornamental heritage of Gypsies around the world between past and present

م. د/ نهاد محمد صادق

مدرس بقسم الدراسات الأكاديمية - كلية الفنون التطبيقية - جامعة بدر
دكتوراه في تاريخ الفن - كلية الفنون الجميلة - جامعة حلوان

Dr. Nihad Mohamed Sadek

Lecturer in Academic Studies Department, faculty of Applied Arts, Badr University
PhD Art History, faculty of Fine Arts, Helwan University

المُلخَص:

العُجْر هم مجموعات عرقية هاجر أسلافهم من الهند وتُعرف مجتمعاتهم بمجتمعات الروما والدوم واللوم واسم العُجْر هو الإسم الذي يجمعهم جميعاً والذي أطلق عليهم من قبل المجتمعات الأخرى التي أعطاهم لهم الآخرون وليس العُجْر أنفسهم، وفي علم الإنسان والحضارات والمجتمعات البشرية (أنثروبولوجيا) عرفوا باسم "المجتمعات المتجولة" Traveller people ، المجتمعات المتجولة هي تلك التي لا تنتج طعامها الخاص، ولكنها تحصل عليه من المجتمعات الأخرى مقابل تقديم بعض الفنون والخدمات والتي تتميز بدرجة عالية من التنقل. فمنذ مئات السنين كانت هذه المجتمعات تقدم خدمات متنوعة للمجتمعات المستقرة في تنقل مستمر وتعيش جنباً إلى جنب مع المجتمعات الأخرى وتحقق التوازن بين حياة البدو وشبه الرحل.

تنقسم شعوب العُجْر بشكل أساسي إلى روماني (في أوروبا) ودومر (في الشرق الأوسط)، وللعُجْر أسماء مختلفة باختلاف اللغات والأماكن التي يتواجدون فيها ولا تزال الأسماء المختلفة لقبائل العُجْر (روما rom ، دوم Dom ، لوم Lom) المستخدمة إلى اليوم لها علاقة بالطرق التي اعتمدها ، والاختلافات الطبقية والطائفية التي تنطبق بينهم هناك. عبرت مجتمعات الروما إلى أوروبا عبر الأناضول والبحر الأسود وتعيش في العديد من البلدان حول العالم من روسيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية بما في ذلك تركيا و يتحدثون اللغة المعروفة باسم الروما. أما الدوم مجتمع يتحدث لغة الدوماري ويعيش في العديد من دول الشرق الأوسط بما في ذلك إيران والعراق وتركيا وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ومصر. هم مجموعة لغوية محددة من أصل هندي مجتمعات لوم هي مجتمعات تعيش حالياً في القوقاز وأذربيجان وإيران وأرمينيا والأجزاء الشرقية والشمالية من تركيا وتحدث لوماري (لومافرين).

جميع فنون العُجْر هي تعبير واضح عن حبهم للحياة والحرية بعيداً عن قيود المجتمع والقانون لذلك من الصعب تصنيفهم على أنهم مجموعات سياسية أو اجتماعية أو أيديولوجية لأنهم مجموعات لا تحلم بوطن يعيش فيه ، ولأن الفنون هي مرآة الشعوب فإن فنون العُجْر هي تعبير عن الحرية ، ويهتم البحث بزخارفهم وتشكيلاتهم التي تتميز بالحرية ، وفي الغالب بألوان عشوائية وزخارف غنية وتشكيلات تعكس حياتهم ، وكأن كل وحدة زخرفية وكل لون هو لون الأرض التي مروا بها ، وهكذا تصبح الصورة في النهاية ممزوجة بكل أطياف الفنون والثقافات.

الكلمات المفتاحية:

العُجْر، الجبسي، عُجْر الروما (روم، رومن)، عُجْر الدوم (الدومر)، عُجْر اللوم، الرُّحْل.

Abstract:

Gypsies are ethnic groups whose ancestors migrated from India and their societies are known as Roma, Dom, and Lom .the Gypsy is the name that unites them all, which was given them by other societies not the Gypsies themselves. In anthropology, they were known as "traveling societies". Itinerant societies are those that do not produce their own food, but obtain it from other societies in exchange for providing some arts and services that are characterized by mobility, and they live side by side with other societies and achieve a balance between nomadic and semi-nomadic.

The Roma people are mainly divided into Romani (in Europe) and Dumor (in the Middle East), and the Roma have different names (Rom, Dom, and Lom). These names are still used today and have to do with the class and sectarian differences between them. Romani communities crossed into Europe via Anatolia and the Black Sea and live in many countries around the world from Russia to the USA, including Turkey. They speak the language known as Roma, while the Dom is a Domari community that lives in many countries of the Middle East, including Iran, Iraq, Turkey, Syria, Lebanon, Jordan, Palestine and Egypt. They are a specific linguistic group of Indian origin. Lom communities are communities that currently live in the Caucasus, Azerbaijan, Iran, and Armenia, the eastern and northern parts of Turkey and speak Lomari (Lomavrin).

All the arts that the Roma groups provide are a clear expression of their love for life and freedom regardless the restrictions of society and the law, Therefore, it is difficult to classify them as political, social, or ideological groups, as they are groups that do not dream of a homeland living in it, and because the arts are the mirror of peoples and it is the true expression of the individuals' tendencies that is why the Gypsy arts in all fields are the expression of freedom, and research is concerned with the distinctive visual art in their Ornaments and formations that are characterized by freedom, And, mostly with random color, rich ornaments and formations that reflect their life, as if every decorative unit and every color is the color of the ground which they passed through, so the picture becomes in the end combined with all the spectrums of arts and cultures.

Keywords:

Gypsies, Gypsy,Rom Gypsy (romany) ,Dom Gypsy (domari),Lom Gypsy,Traveller people,Vintage Gypsy Costumes.

المقدمة:

احتفظت فنون العجر بخصائص فنية مشتركة في أكثر الأحيان برغم كونهم جماعات تعيش دائماً داخل ثقافات مختلفة أو بلدان أخرى كأقلية ومجموعة منبوذة فلقد تعرضوا للتمييز الشديد والتهميش عبر التاريخ ، فالعجر هم مجموعات هاجرت من الهند وتُعرف مجتمعاتهم بمجتمعات (روما rom ، دوم Dom ، لوم Lom) وهي أسماء العجر الخاصة بأقاليم بعينها أما اسم العجر هو اسم يجمعهم جميعاً ، ولإن فنون العجر فنون ذات طابع مميز ملحوظ فلا يجب اغفاله ، فإغفال هذا الفن يعتبر تأكيد على فكرة التهميش ، فهو فن جدير بالدراسة مثله مثل فنون التراث له خصائص وجماليات تشكيلية رائعة لا سيما أن زخارف هذا الفن كانت مصدر إلهام للعديد من الفنون المعاصرة وتم ادخالها في كثير من الفنون النفعية والتطبيقية وأيضا التشكيلية.

تمتعت حياة العجر بسمات ارتبطت بالحرية وعدم القيود فالترحال والتنقل وعدم الاستقرار في مجتمعات ثابتة ، أكسب فنونهم نفس سمات معيشتهم ، أي أننا نستطيع أن نرى هذه الحرية وهذا التنوع في زخارف ملابسهم و في إختيار ألوانهم التي تتسم بكل التناقضات اللونية وعدم الالتزام بمجموعات لونية متوافقة.

ولأصول العجر التي ترجع إلى شمال الهند جزء أساسي في امكانية ارجاع بعض السمات الخاصة في زخارف العجر إلى السمات الزخرفية الهندية ، وكون كل جماعة أو قبيلة اختلطت بثقافات أخرى وتعايشت معها من خلال هجراتهم من الهند إلى بلدان شتى في جميع أنحاء العالم ، أكسبتهم سمات جديدة خاصة بثقافة البلد التي سكنوها بالإضافة لسماتهم الأصلية ليصبح المزيج الزخرفي موروث جديد ذو طابع خاص بجماعة أو قبيلة العجر في ذلك المكان.

وفي هذه الدراسة تم التركيز على السمات العامة للموروث الزخرفي الذي يجمع العجر بوجه عام ، بغض البصر عن ثراء السمات الزخرفية الخاصة بكل جماعة على حدى، فهي في الواقع تحتاج للعديد من الدراسات الأخرى التي توثق هذا الموروث في مختلف البقاع و البلدان، ولكننا كنا بحاجة إلى إشارة عامة لهذا التراث ربما تتيح بإنطلاقات بحثية عديدة في نفس المجال.

مشكلة البحث :

خضعت عادات العجر وتقاليدهم ونمط حياتهم بالدراسة من قِبل المؤرخين والأدباء وعلماء المجتمعات البشرية وصنّاع الدراما ، لثراء الموروث الثقافي والاجتماعي والفني العظيم، وربما كانت المجالات السابقة هي اهتمام معني أكثر بالجانب الثقافي والاجتماعي وليس بالجانب الفني بشكل مباشر، فلم نجد دراسة متخصصة ومباشرة بالتراث الزخرفي الخاص بهذه الجماعات.

منهجية البحث :

المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي.

أهمية البحث :

تحتاج المكتبة الفنية في مجالات الفنون البصرية إلى مراجع تهتم بدراسة التراث الزخرفي العجري كأحد دراسات التراث البشري، يُعتمد عليه ويسهل على المهتمين والمعنيين بالنقل عن فنون العجر عملية الاقتباس من فنون تلك الجماعات.

أهداف البحث :

- وضع التراث الزخرفي العجري بشتى تطوراته التشكيلية وتنوعه المرتبط بأماكن تواجدهم ، على خارطة الفنون المرئية الموثقة، ومحاولة استخراج سمات مشتركة بين جماعات العجر جميعا ، وسمات أخرى تميز بعض الجماعات منفردة إذا وجد الاختلاف والتميز الذي يستدعي الدراسة والإشارة إليه.
- عدم مسابرة التهميش الذي واجه جماعات العجر منذ زمن من خلال تجاهل فنونهم كصورة تؤكد هذا التهميش.
- الاهتمام بالتراث الزخرفي العجري ودراسته وتجميع بعض اتجاهاته.

1/ مجتمعات العجر

1/1/ أصول العجر:

هم أناس يعيشون في جماعات متنقلة وهم بالرغم من انتشارهم وأعدادهم الكبيرة إلا أنهم أقلية من مجموعات متميزة تسمى "القبائل" ينتشرون على نطاق واسع من العالم ، منشأهم في منطقة البنجاب في شمال الهند ، حتى أن العديد من الكلمات والألفاظ العجرية تقريبا تتطابق مع تلك الموجودة في اللغة الهندية ، واللغة العجرية في الأصل لغة واحدة أي أن عجر كل

العالم لهم لغة واحدة و هي من إحدى لغات الهند القديمة وبسبب تفرقهم في جميع أنحاء العالم وعدم كتابة لغتهم دخلت عليها كلمات من لغات أخرى من لغة سكان المنطقة التي يعيشون فيها و هذا أدى إلى وجود لغة عجزية أوروبية و شرق أوسطية إلخ

وهناك تباين في الآراء بشأن تاريخ العجز وأصولهم، فهناك من يرجع أصولهم أيضاً إلى إيران ومناطق وسط وجنوب آسيا، وقد خلصت دراسة نُشرت في عام 2012 في مجلة PLoS ONE إلى أن سكان الروما وهم العجز لديهم تواتر عالٍ لكروموسوم Y معين والحمض النووي للميتوكوندريا التي لا توجد إلا في مجموعات من جنوب آسيا.

1/2/ مسميات العجز:

الروما Roma هي الكلمة التي يستخدمها كثير من العجز لوصف أنفسهم ؛ تعني "الأشخاص" ، يُعرفون أيضاً باسم روم Rom أو روماني Romany .

أما ما يطلق عليهم من قبل الشعوب المستقرة هو اسم جبسي Gypsy أو جبسيز Gypsies وهو ما يستخدم لوصف مجموعة عرقية هاجرت في جميع أنحاء العالم على مدار عدة قرون ، وأصل كلمة (عجز) (Gypsy) في اللغات الأوروبية يرجع إلى أسطورة تقول إنهم جاؤوا من مصر (Egypt) ولكنه ارجاع أثبت خطأه فيما بعد ، ويعتبر بعض الناس أن هذا المصطلح سواء العربي أو الإنجليزي مصطلح مهين ويرتبط بدلالات سيئة (1).

لذا فالوصف الصحيح تاريخياً لهم هو العودة إلى أصولهم العرقية التي تنقسم إلى مجموعتين: الروما (Roma أو Romany) في أوروبا، والدومر (الهناجرة) في أفريقيا وآسيا. و تنبثق من هذه المجموعات بعض الفصائل الأخرى التي تُعتبر من العجز أيضاً تسمى بأسماء تميزهم تبعاً لكل بلد.

1/3/ فصائل العجز:

يعد تصنيف جماعات العجز غاية في التعقيد وليس من السهل تتبعهم ، ولكن تنقسم شعوب العجز بشكل أساسي إلى روم (في أوروبا) ودومر (في الشرق الأوسط) ، لوم (في غرب آسيا) (2). وفي الواقع فما نواجهه هو هوية عجزية معقدة ومتعددة الطبقات أو بالأحرى هويات ، لأننا لا نتحدث عن هوية واحدة بل عدة وكذلك درجة عالية من الاختلاف والارتباك في تطبيق التسميات والصور والحدود.

هاجروا من أراضيهم في حوالي القرن الرابع الميلادي ويقال أن سبب هجرتهم من الهند نحو الغرب بسبب الغزوات البربرية انذاك وأمل في الابتعاد عن الموت.

وكانت أقدم وأكبر هجرة لهم من ضفاف نهر السند وانقسامهم إلى جماعات وفرق صغيرة متجهين إلى إيران وأفغانستان وشمال بحر قزوين والخليج العربي جنوباً، وإلى أرمينيا والقوقاز وروسيا، واتجهوا نحو الجنوب مع نهر دجلة والفرات ومناطق تركيا والبحر الأسود وسوريا وفلسطين ومصر وسواحل البحر الأبيض المتوسط في شمال أفريقيا حتى وصلوا مضيق جبل طارق فعبروا إلى أسبانيا وهم عجز (قشتاله والخيتانو) أما عجز تركيا فعبروا مضيق البسفور إلى اليونان وشبه جزيرة البلقان، وانتشروا في أواسط أوروبا حتى إنجلترا وأسكتلندا شمالاً وتوجه القسم الآخر إلى روسيا والدول الإسكندنافية (3).

لدى ليس جميع الدول المذكورة من أصول عجزية كما يشاع أحياناً بل إنها كانت هدفاً لموجة هجرة العجز الكبرى القادمة من الهند في الشرق.

أما الهجرة إلى أوروبا يُعتقد أن العجز هاجروا إلى أوروبا من الهند منذ حوالي 1500 عام ، دخلوا أوروبا بين القرنين الثامن والعاشر الميلادي ، وأطلقوا عليهم اسم "Gypsies"، وأوضح بعض المؤرخين أنهم في أواسط القرن الخامس عشر

(1440م تقريباً) وصلوا إلى مناطق المجر وصربيا وباقي بلاد البلقان الأخرى، ثم بعد ذلك انتشروا في بولندا وروسيا، واستمر انتشارهم إلى أن بلغوا السويد وإنجلترا في القرن السادس عشر الميلادي، كما استوطنوا في إسبانيا بأعداد كبيرة (4).

على الرغم من أنهم يتركزون في أوروبا ، إلا أنه يوجد أيضاً عدد من العجر يعيش في بلاد كثيرة حول العالم: مليون منهم في الولايات المتحدة الأمريكية، و800 ألف في البرازيل، وأعداد أخرى في أمريكا الجنوبية. ومع ذلك تعرض العجر للإضطهاد من قبل البلدان المختلفة على مر التاريخ من خلال الترحيل الإجباري وعدم الاعتراف بهم كمواطنين في البلدان التي يقيمون فيها، حيث تم ترحيلهم من مناطق عديدة في أوروبا، بل و وصلت قمة الكراهية إلى قتل كل عجري فوق الثامنة عشرة من العمر في بعض الأحداث. كما صدرت قوانين تلزم العجر الذين ليست لديهم مهنة ثابتة في بالعمل القسري (السخرة)، وقد طبق هذا النظام في عدد من الدول الأوروبية. فالإضطهاد تراث ثقافي استمر حتى القرن التاسع عشر في دول مثل رومانيا و في إنجلترا وسويسرا والدنمارك ، تم إعدام العجر طوال عصر القرون الوسطى، وأمرت العديد من البلدان مثل ألمانيا وإيطاليا والبرتغال بطرد جميع الروما. حتى أن الاضطهاد وصل إلى أطفال الروما الذين تم اختطافهم من آبائهم ، والنساء اللواتي قطعت آذانهن ، والعجر الذين تم وسمهم بالحديد الساخن، وتم حظر استخدام لغتهم الأم في بعض البلدان و منعت أماكن أخرى العجر من الزواج فيما بينهم. وربما حدث الاضطهاد الأكثر تدميراً للرومان خلال الحرب العالمية الثانية ، عندما كانوا من بين الأهداف الأولى للفظائع النازية حيث مات ما يقدر بنحو 2 مليون روماني من خلال وسائل الإبادة الأخرى ، وفي فترة ما بعد الحرب ظل الاضطهاد واستمر خاصة في الاتحاد السوفيتي في الثمانينيات من القرن العشرين ، أُجبرت نساء العجر في تشيكوسلوفاكيا على الخضوع للتعقيم للحد من عدد السكان العجر.

1/4 الأعمال التي يمتنها العجر:

عملوا العجر كحرفيين فمن ضمن أعمالهم أعمال الحدادة وصناع أحذية وتجار خيول وصناع أدوات ومدربين حيوانات السيرك ، كما تميزوا جداً بفنون الموسيقى والرقص، وفي العموم اعتمدت معظم أعمالهم على الأعمال الموسمية المتنقلة، كما مارسوا بعض الممارسات في الشفاء وقراءة الطالع والسحر فكان يُنظر إليها على أنها نقيض لتعاليم الديانات ما زاد من فرص تهيمشهم وتمييزهم بالرفض.

يعيش العجر صوراً لحياة ملونة لا تعيقها قيود الإقامة المستقرة أو العمل المنتظم، و ترتبط صفة "البوهيمي" * التي تدل على أسلوب حياة خالٍ من الهموم بطريقة العيش التي يتبناها العجر، أصبحت هذه المجتمعات المحبة للموسيقى والتي تعيش في المخيمات والسفر تحدد الثقافات الوطنية ذاتها التي يعيشون فيها، وباتت تتسم بسمات أشبه بفن الكولاج (فن تجميع قصاصات الورق) يأخذ من كل بستان زهرة فمثلاً موسيقى ورقصة الفلامنكو في إسبانيا بتأثيراتها المغربية والعربية والهندية هي مجرد شكل واحد من أشكال التعبير التي جذبت انتباه الذين يبحثون عن الألوان والإثارة (5) .

2/ التراث الزخرفي للعجر

يعد التراث الزخرفي للعجر حول العالم تراث ثقافي يعتمد على اشتراكهم في بعض العناصر والسمات الفنية العامة، غير أن هناك سمات مميزة لكل جماعة حسب المناطق والبلاد التي يعيشون فيها.

إن المفهوم الكلاسيكي للثقافات يجعلنا نتساءل لماذا وكيف يمكن أن يكون للهوية التي تبدو شاملة ومتقاربة ؟ بالإضافة إلى ما إذا كان هذا التقارب له معنى حقاً ؟ فالمفاهيم والمعرفة المسبقة حول العجر سواء (الروم) في الغرب أو (الدوم) في الشرق ، وممارساتهم دائماً نقطة مرجعية في البحث عنهم بل أنه ضروري لفحص إنتاج المعرفة عن العجر- كجماعة بعينها - لفهمها جيداً فمثلاً إجراء بحث حول الدوم في مصر ربما كانت محاكاة معينة لآليات التفكير الأوروبية للروم في

الغرب مدفوعة باللغويات والاهتمام الشديد بالمفاهيم البنائية المقترحة التي تتناول أيضا التوجه إلى وطن (حقيقي أو متخيل) ، والحفاظ على الحدود مقابل البلد المضيف. لذي فإن فكرة التوجه إلى الوطن ليست جانباً أساسياً في تحديد الهوية إلا في بعض الأحيان(6).

وبالرغم من اعتبار مفهوم الحدود أنه نهج تم اختياره جيداً لدراسة المجموعة في تشكيل الهوية في الكثير من الدراسات ، حيث التركيز على حدود المجموعات العرقية ، والترابط بين الهويات العرقية واستمرارية الجماعات العرقية على نفس المنوال من الفكر ، فإن بناء الهوية هو عملية مستمرة، فالهويات هي أسماء تُعطى للطرق المختلفة التي نضع فيها أنفسنا داخل الروايات من الماضي بعيداً عن كونها ثابتة إلى الأبد ، فهي كذلك تخضع للتغير المستمر للتاريخ والثقافة والسلطة ، فالهوية الثقافية يُنظر إليها على أنها غير مستقرة ومجازية وحتى متناقضة تتميز بنقاط متعددة من التشابه والاختلاف. فالهوية لا يمكن تصورهما في ظل ظروف الحركة والنزوح و الانتقال الذي يعيشون فيه ، فإتشاء الحدود وتشكيل الهوية والتحويلات أمور مشتركة في دراسة عناصر الهوية عند العجر(7) ، فعدم استخدام الحدود عند النظر إلى أي عرقية أو ثقافية المجموعة هي على الأرجح واحدة من أكثر الأدوات أماناً لتجنب التخصيص ؛ وتشكل العناصر الرئيسية والسمات العامة نموذج التحليل.

نظرا لندرة الدراسات الخاصة بزخارف العجر، فيمكن تطبيق بعض قوانين دراسة أحد الفنون الأخرى لهم على دراسة الزخارف - كالموسيقى مثلاً - كنوع من أنواع مطابقة نفس الظروف والمتغيرات وملابس استخراج سمات الموسيقى على استخراج سمات التراث الزخرفي أيضاً.

فمثلاً برغم ما يقال عن موسيقى العجر، فلم يكن العجر مبدعين، إذ أخذوا الموسيقى عن البلاد التي وجودوا فيها بما يتفق مع شخصياتهم وأضافوا عليها بعض القوى الابداعية ، ومع تطور القرون وتوارث موسيقاهم من التراث الموسيقي الخاص بمنطقة تواجدهم ، أصبح مرجع موسيقى العجر مبعثر(8) .

1/2/ السمات العامة لملايس العجر:

للزي الشعبي العجري تاريخ غني يرجع أولاً وقبل كل شيء إلى طريقة حياتهم البدوية، مما سمح للعجر باستعارة جزئيات من ثقافات شعبية مختلفة أكسبته صفة التنوع والغنى.

كما أن أسلوب العجر لا يتعلق بنوع خاص من الملابس فحسب بل إنه يتعلق بالطريقة التي يرتدون بها ملابسهم، لطالما كان هناك لمسة من اللامبالاة وموقف بسيط تجاه العالم، فوجد تعدد القطع باختلاف زخارفها تُلبس بشكل مجتمع مع بعضها البعض في صورة طبقات كثيرة من الملابس مما يعطي غنى لوني وتشكيلي (شكل1).

وتصميم الزي العجري بشكل عام يكون واسعاً فضفاضاً، فلقد أحبوا دائماً الملابس المريحة الفضفاضة التي لا تعيق الحركة بما أنهم كثيروا التنقل ويحتاجون إلى أن يجلسوا للراحة على الأرضفة والطرق على عكس المجتمعات المستقرة الذين يستخدموا الكراسي أو المقاعد كثيراً.

كما تميزت التنانير بأنها فضفاضة وذات قصات متدرجة الطبقات (شكل2)، و يمكن حياكتها من نسيج واحد (شكل3) أو يمكن أن تجمع بين عدة شرائح من الأقمشة المختلفة الموجودة رأسياً وأفقياً ، والتي تطور شكلها ليخرج منها ملابس رقصة الفلامنكو الأسبانية (شكل4،5) ، وبوجه عام فإن الملابس العجرية تصنع من مواد غير مكلفة لذي نجد تنوع كبير في القصاصات التي يُصنع منها القطعة الواحدة (شكل6)، وعن البلوزة كانت الأكمام واسعة جداً وذات طبقات وكشكشات متعددة في أحيان كثيرة (شكل7 ، 8).

أما عن الشالات فحاولت كل امرأة وكل فتاة عجزية الحصول على أجملها وأكثرها سطوعاً، وكانت تغطي الشالات رؤوسهن أو أكتافهن أو لفت حول خصورهن (شكل9).

كان ملابس العجز مزيجاً غريباً ومتناقضاً بين الفقر والرفاهية حيث الخرق المتهالكة والمجوهرات الذهبية المتألثة، ليكون المظهر في النهاية فقيراً وغنياً في نفس الوقت وكان ذلك ساحراً بشكل خاص. كانوا يسيرون من باب إلى باب يطلبون الطعام لكنهم يرتدون الأقراط والأساور والخواتم الذهبية. فلم يكن لديهم فقط قلادات من العملات المعدنية ولكن حبات اللؤلؤ أو المرجان أو العنبر أيضاً، وفي العموم فإن واحدة من السمات المميزة لأسلوب العجز هي وفرة المجوهرات والكثير من الخرز والأساور والأقراط الكبيرة تصنع من مواد مختلفة غير متوافقة تماماً.

وفي الأساس يستوحى الملابس العجزية تصميماته من طبيعة البيئة العجزية وهي تعتبر المؤثر الأول في هذه التصميمات التي تميزت بتعدد الألوان والنقوش النابغة من ألوان وأشكال الطبيعة التي يمرون عليها وتراها أعينهم خلال ترحالهم وبالأخص نقوش الزهور والورود (شكل10 ، 11)، لكن تجدر الإشارة إلى أنه في العديد من العائلات كانت مصنوعة من قماش أحادي اللون ودون اتساع، ولكن بشكل عام فضلت النساء الأنماط الزاهية على الأنماط أحادية اللون - الساتان بالزهور بشكل أساسي واستخدام الألوان الزاهية مثل البنفسجي والبرتقالي والفوشيا مع الأسود والذهبي.

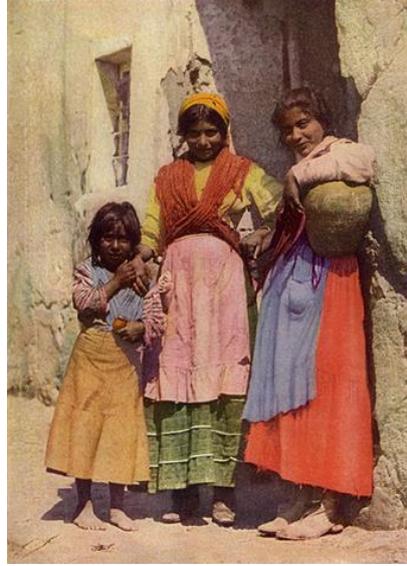
وبوجه عام لا نستطيع انكار ملامح الزي الهندي التقليدي بأشكاله وألوانه وبعض زخارفه وطريقة ملبسه، بالأخص إذا ما ربطنا بين أصول المجتمعات العجزية وبين الهند (شكل 12 ، 13) مع مراعاة التطور وانحرافات الملامح الزمنية.



(شكل2) عجزيات وارسو من بولندا - خلال الحرب العالمية الثانية، سبتمبر 1940، المصدر Deutsches Bundesarchiv (الأرشيف الفيدرالي الألماني)، المؤلف Hugo Jager



(شكل1) طريقة ارتداء الملابس (طبقات متعددة) عند العجز - ربما عجز رومانيا



(شكل3) فتيات العجر الأسبان 1917
مجلة ناشيونال جيوغرافيك - المجلد 31



(شكل5) راقصة فلامنكو غجرية 1920- 1930 –
أسبانيا - المصدر مركز توثيق الفلامنكو الأندلسي
<https://www.romarchive.eu/en/collection/granada-danza-de-gitanos>



(شكل4) راقصات العجر 1880- 1910- غرناطة ،
أسبانيا – المصدر مركز توثيق الفلامنكو الأندلسي
<https://www.romarchive.eu/en/collection/granada-danza-de-gitanos>



(شكل6) طريقة تجميع قصاصات القماش المتنوعة في نسيج واحد



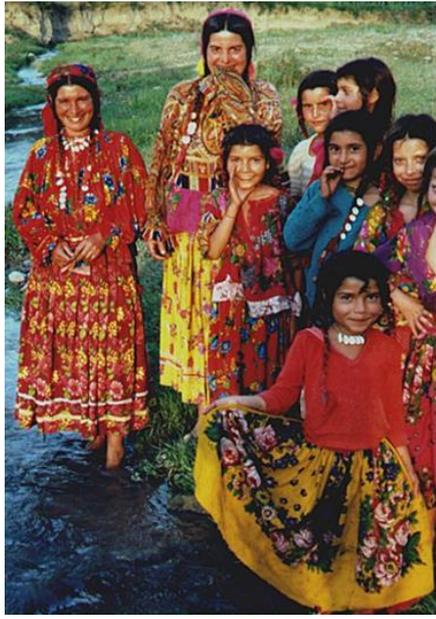
(شكل 7) عجريات من أوائل القرن العشرين، المصدر كتاب
"A Day's Work, Part 2 A Sampler of Historic
Maine Photographs, 1860-1920"



(شكل 8) عجريات من ولاية أورغين على الساحل الغربي لأمريكا، أوائل القرن العشرين
تقريباً، المصدر كتاب " Oregon Roma (Gypsies), A Hidden History"



(شكل 9) عجريات قبل بدء احتفالات يوم العجر العالمي (8 أبريل) - مقاطعة كلوج
أحد مقاطعات رومانيا- الصورة بواسطة TudorSeulean على فليكر



(شكل 11) أشكال الزهور على ملابس عجريات من رومانيا



Bundesarchiv, Bild 183-2004-0203-502
Foto: o. Ang. | 1941

(شكل 10) عجر من السنّي ، كرواتيا 1941



(شكل 13) طفلتين من مرواري من الهند ، حوالي عام
1870 صورة من معرض مؤسسة Tasveer &
Cinnamon، بالشراكة مع Vacheron Constantin



(شكل 12) راقصات من الهند ، حوالي عام 1880 صورة من
معرض مؤسسة Tasveer & Cinnamon ، بالشراكة
مع Vacheron Constantin

1/2 التشكيلات الزخرفية العجرية:

إذا ما أمعنا النظر بالدراسة في زخارف ورسوم العجر على الملابس بوجه عام ، نجد أنها تأثرت بشكل كبير بأسلوب الحياة المعتمد على الترحال والتنقل وعدم الاستقرار ، فاتسمت نقوش اقمشتهم بالأسلوب (التلقيني أو التجميعي) كنتيجة طبيعية لعدم رفاهية توفير الرسوم والألوان والتصميمات للتعرض للفقير والمعاناة في أحيان كثيرة ، وكأنها أخذت من كل منطقة وكل أرض عاشوا فيها جزء تصميمي ربما كان نتاج صنعهم أو أنه مجرد نقوش على أقمشة تم اقتنائها من عدة مصادر ثم تجمعت جميعاً لتصدر صوتاً حر في التشكيل يعبر عن حب العجر للحرية وعدم التقيد داخل إطار كما هو حال حياتهم الحرة ، أي أن كل قطعة منفصلة لها نقوش ورسوم وألوان ربما لا تعبر أبداً عن ثقافة العجر أما إذا اجتمعت مع قطع وتشكيلات

أخرى – أيضاً لا تعبر عن ثقافة العجر- أعطت تشكياً جديداً يتفرد به الزخرف العجري ، فقط من أساسياته التمتع بالعشوائية وعدم وجود رابط لوني ذو مجموعة لونية متجانسة ، أو أحجام ووحدات زخرفية متوافقة (شكل14)، بل على العكس كلما كثرت وتنوعت الألوان الزاهية واختلفت الرسوم والنقوش كلما اقترب منتلك السمات العامة التي تميز بها النقش العجري. لذي لن نجد طريقة أو أسلوب معين لرسم الزهور- وهي الوحدة الغالبة على الطابع العجري- كما في أي ثقافة أو حضارة تاريخية مثلاً ، وإنما هي متنوعة ومجمعة ، تميزت فقط باختيارات لونية زاهية فاقعة في كثير من الأحيان وطبقات من الأقمشة متعددة (شكل15).

والخلاصة أن عدم استقرار تلك المجتمعات أدى إلى دمج ثقافي متنوع وغني في تشكيلات العجر ، ولا نغفل أبداً السمات الخاصة التي تميز كل جماعة عن الأخرى .



5- اضافة الوحدة الافتراضية على نتاج
الوحدتين السابقتين ، أنتج أيضاً طابع
بوهيمي عجري جديد



4- وحدة زخرفية
افتراضية ولا تعبر
عن العجر



1- وحدة زخرفية، ليس
بالضرورة أن تعبر عن
العجر بمفردها



2- وحدة زخرفية أخرى،
أيضاً لا تعبر عن العجر
بمفردها



3- اجتماع الوحدتين
معاً أنتج وحدة زخرفية
لها طابع (بوهيمي)
عجري

(شكل14) دراسة تحليلية للباحثة في تفصيل الطابع الزخرفي العجري



(شكل15) أزياء العجر الملونة ، سيبيو ، رومانيا 2019 في مهرجان سيبيو الدولي
المصدر <https://www.shutterstock.com/image-photo/sibiu-romania-august-8-2019-bohemian-1500182009>

3/ مستقبل التراث الزخرفي العجري

الملابس العجرية أو البوهيمية هي نمط بدوي من الملابس نشأ منذ عدة قرون بوجود عدة عوامل وظروف واضطرابات اجتماعية و سياسية ، قاد هذا الاضطراب السياسي العديد من الناس إلى الفقر ، مما جعلهم يختارون أسلوب حياة بسيط - ملابس فضفاضة وشعر فوضوي - ولكن بحلول القرن التاسع عشر بدأت طريقة ارتداء الملابس هذه بالفعل في الظهور على أنها تعبير إبداعي وفردى. لا يقف عند حدود بل يتخطى الكثير ليصل إلى وضع مقترحات وأفكار حديثة في مجالات عديدة بالأخص الكثير من بيوت الأزياء العالمية.

صحيح أن العجر لم يقوموا ببناء نصب تذكارية أو تنظيم حملات عسكرية ولم ينحتوا تماثيل من الرخام لكن حضارتهم البدوية كان لها تأثير كبير على الثقافة الأوروبية مثلاً ، فقد تمر قرون على هذه الثقافات ولكن أسلوبهم سيلهم الفنانين مراراً وتكراراً.

لأول مرة ارتفع أسلوب العجر إلى منصة الظهور في عام 1976م بفضل إيف سان لوران بدأ مصممو الأزياء وبيوت الأزياء في اللجوء إلى استخدام الزخارف العجرية ، بما في ذلك Fisico و Emilio Pucci و Luisa Beccaria و Custo Barcelona وما إلى ذلك.

وتظل الإستلهامات من ماضي الثقافات هي الربط الحقيقي والواقعي بين الماضي والحاضر بمختلف أفكارها وشمول استلهامها أو اقتصارها على أجزاء منها ، وفيما يلي بعض النماذج التي تؤكد على مستقبل ثقافة العجر وموروثها الزخرفي المميز:

1/3 دور بيت الأزياء Romani Design في النقل عن العجر:

روماني ديزاين Romani Design هي علامة تجارية أسستها مصممة الأزياء المجرية إيريكافارجا Varga Erika 2010، للترويج لأزياء وهوية الروما أو العجر تدور حول دمج التقاليد الثقافية معاً والتخلص من الصور النمطية ، وهي مؤسسة اجتماعية يديرها العجر، فهي فريدة من نوعها في العالم ، مع رفع بعض الشعارات التي أطلقتها مصممة الأزياء وتعد هدف المؤسسة وهي: " الموضة هي فرع من الفن يهتم ويربط بين الناس ، من غير العجر والروما " و "نحن لا نصنع قمصاناً منتجة بكميات كبيرة بل ملابس تحمل رسائل ، مثل حقوق الأقليات والاندماج".

وتعتبر الزخارف العجرية التقليدية مثل الزهور سمة نموذجية لتصميماتها ، ولا سيما واحدة من مفضلاتها الوردية رمز الأنوثة ومعظم تنايرها وفساتينها طويلة ، بما يتماشى مع تقاليد روما.

"روح متمردة Rebel Spiri " هي أحد مجموعات من Varga ، مستوحاه من شخصيات نسائية قوية بما في ذلك والدتها وجدتها الراحلة وفنانة القرن العشرين التشكيلية المكسيكية فريدا كاهلو بطلة لها وبذلك قدمت من خلاله لمحة عن حياة عائلة من العجر لذلك أعتبرت فارجا أن شراء قطعة شخصياً بمثابة تفاعل ثقافي وهو ما اعتبرته مهمتها الاجتماعية أن يتعرف الناس على نساء الروما ويلتقون بهم بالأخص وأن ثراء وجمال ثقافة أزياء العجر ومعنى الزخارف التقليدية كلها قيم لا تحظى باهتمام كبير. فمن خلال تقديم هذه القيم يمكن للصور والأزياء أن تنقل رسائل أقوى وأكثر فعالية حول الانفتاح والتسامح والتعايش. من الممكن الاقتراب من قلوب الناس دون أن يلاحظها أحد ، وبمجرد حدوث ذلك ، فإن طريقة التفكير النمطية المتحيزة لا مكان لها ولا مبرر لها ."

"هويتى - حريتى" هو عرض لمجموعة أزياء أخرى تركز على المرأة العصرية التي تتبنى بجرأة هويتها وتفسرها بحرية ، والتي تعيش بوعي وتمثل إبداعها وسعادتها في الحياة والذي يستلهم بشكل واضح ورود وألوان العجر(شكل 16، 17).

ولإن العرض حظي باهتمام كبير حيث أبدت العديد من المؤسسات الدولية إعجابها فقد استدعى هذا الإهتمام إلى الإلتفات إلى ثقافة العجم من قبل المجتمع الدولي ، وهو دور من أدوار استلهام الفنون في التقريب بين الشعوب والثقافات.



(شكل 17) عرض أزياء لبيت الأزياء "روماني ديزاين"
Romani Design بعنوان "هويتي - حريتي" في المجر



(شكل 16) مصممة الأزياء المجرية إيريكافارجا Varga Erika
وسط تصميمات مستوحاة من الفن العجري



(شكل 18) ابتكارات وحدات زخرفية تصميم بيت الأزياء Romani Design
مستوحاة من الفن العجري

1/2/3 كتابات و مقترحات لتصورات الأزياء الحديثة المستمدة من الأساليب التراثية الغجري:

طرحت Nishita Murugesh وهي أحد الكتاب الصحفيين والمتخصصين في تكنولوجيا الموضة في مجلة ShilpaAhuja.com * بعض الاقتراحات والتصورات للأزياء الحديثة المستمدة من الأساليب التراثية لملايس وزخارف العجر في مقال تحت عنوان (أساسيات ملايس العجر: كيفية تجميع الملايس البوهيمية التي يمكن ارتداؤها) بوصفها لشكل وهيئة الملبس المعاصر المبتكر الذي يحمل سمات ملايس العجر أقمشة فضفاضة ، إكسسوارات متعددة ، طبقات من الأقمشة المختلفة تشمل القطن والكتان والكروشييه والشيْفون والجلد المدبوغ والمخمل ومع أي من هذه الأقمشة يوجد التطريز أو الخرز و نهايات وأطراف مهدبة أما الألوان فترايبية باهتة مثل درجات البني والبرتقالي والبيج والقشدي المأخوذة من رعاة الأبقار والخيول (شكل19)، والمطبوعات الزهرية والبيزلي (paisley prints)** (شكل20)، والأقراط المتدلية ، وشارات الذراع المعدنية ، والخواتم المتعددة ، والأوشحة ، والحقائب المهدبة وأحذية رعاة البقر. وملخص اختيارها هذا بوصفها في النهاية حيث قالت : (وأخيرًا وليس آخرًا ، امتلك عقلاً وسلوكًا حرًا وستبدو وكأنك بوهو!) (9).



(شكل19) وحدات زخرفية وضعت في تصميمات مستوحاة من الفن الغجري



(شكل20) تكوين زخرفي من وحدة البيزلي paisley prints - (كشمير)

النتائج:

- من خلال دراسة الكثير من أنماط زخارف العجر وربط سماتها بالظروف الحياتية لهم ، نستنتج أن معظم أنماط الزخرفة لدى العجر لم تكن انشاء لوحات زخرفية محددة ، نستطيع أن نردها إلى أصولها لتلك المجتمعات عند النظر إليها ، وإنما هي وحدات زخرفية مُجمعة تلقطية أشبه بفن (الكولاج) أخذت عناصرها من عناصر وزخارف جاهزة ربما من ثقافات أخرى أو ثقافات المجتمعات المستقرة التي انتقل العجر إليها أو أقاموا فيها ، وتم تجميعها إما بشكل مباشر في وحدة واحدة أو تجميعها بشكل غير مباشر عن طريق استخدام الطبقات المتعددة في الملايس وكل طبقة بنوع زخارف ورسوم وألوان تُناقض الطبقات الأخرى ، لنرى في النهاية تكوين زخرفي غني يشمل عناصر زخرفية مُجمعة.

- إن عملية تطوير واستمرار الموروث الثقافي الزخرفي الغجري من خلال استلهامات حديثة في مجالات معاصرة ، عملية بسيطة وليست معقدة نتاج للسمات العامة التي يتفرد بها هذا الموروث ، وهي سمات منبعا أساسا من ثقافات عدة مما يجعل

عملية الاستلهام عملية مرنة وليس بالضرورة العودة لمرجع زخارف نمطي محدد ، وإنما ما يتحكم فيه بالدرجة الأولى اتباع طرق وأساليب تجميعية ربما اتسمت في كثير من الأحيان بالعشوائية، عشوائية تجميعية و لونية بل وتصميمية أيضاً . وهو ما يجعل عملية الاستلهام تتسم بفتح أبواب الابتكار الغني والمتنوع الذي يتمتع بقدر كبير من الخيال بمعنى أن الكثير من الاستلهامات الزخرفية الحديثة لا تمت بصلة لأزياء العجر مثلاً وإنما اتبع فيها المنطق العجري في التصميم ، وهو ما يجعله استلهام مقبول وناجح بخلاف الكثير من عمليات الاستلهام من حضارات قديمة مثلاً أو ثقافات ذات طابع زخرفي رمزي محدد يجعله أصعب وأعد بما فيه من إلزام تصميمي.

- برغم وجود سمات زخرفية خاصة لكل مجتمع عجري في أنحاء العالم إلا أن هناك سمات مشتركة تجمع الزخارف العجرية جميعاً.

التوصيات:

- نحن في حاجة إلى دراسة مسحية شاملة، ودراسات مركزية تُجري على العجر في مجتمع معين - أسر متناثرة أو جماعات صغيرة أو مجتمعات محلية أو إقليمية - وتهدف إلى التعرف على النمط الزخرفي لمجتمعات بعينها، وتهدف إلى معرفة نوعيتها وسماتها والفروق الأساسية بينها وبين أهم السمات التي تميز زخارف العجر عموماً.
- عدم اغفال الدراسات المتخصصة في هذا المجال ومحاولة الاستفادة من تطبيقاتها عملياً وتطبيقاً.
- دعم المشاريع التي تحقق نجاح هذه الدراسات وامدادها بالتسهيلات اللازمة لتنفيذ على أرض الواقع وتحقيق غايتها في ربط الحضارات والثقافات ببعضها البعض.
- اعتبار دراسة فنون العجر جزء لا يتجزء من دراسات فنون الشعوب ومحاولة ادراجها في مناهج الفنون المتخصصة.

المراجع:

المراجع العربية:

- 1- صبري نبيل صبحي حنا ، "جماعات العجر... مع إشارة خاصة للعجر في مصر والبلاد العربية" ، دار المعارف ، الطبعة الأولى 1980.
- Hanna, Sabri,"Gmaat Alghagar... ma eshart khasa lelghagar fi Mesr w albelad alarabia",dar almaaref, altabaa alola 1980.

المراجع الأجنبية:

- 1- Alexandra Parrs,"Gypsies in Contemporary Egypt: On the Peripheries of Society", electronic edition published in 2017, The American University in Cairo Press.
- 2- Carol Silverman," Oregon Roma (Gypsies), A Hidden History", Oregon Historical Society 2017.
- 3- Donald Kenrick,"Historical Dictionary of the Gypsies (Romanies)", Scarecrow Press 2007, Edition 2, Rowman & Littlefield Publishing Group.
- 4- Hussain Bux Malla," Gypsies among us", Published Research Paper, ResearchGate.
- 5- Elena Marushiakova and Vesselin Popov, "Gypsies in Central Asia and the Caucasus", Palgrave Macmillan.
- 6- William H. Bunting," Part 2 A Sampler of Historic Maine Photographs, 1860-1920", Tilbury House Publishers 2000.

المواقع الإلكترونية:

- 1- <https://www.bbc.com/news/magazine-12711181>
- 2- <https://shilpaahuja.com/gypsy-clothing/>
- 3- <https://www.romarchive.eu/en/collection/granada-danza-de-gitanos> تاريخ الاطلاع 2020/10/11 (شكل 4 ، 5)
- 4- https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Bundesarchiv_Bild_183-2004-0203-502_Bei_Agram_kroatische_Sinti_und_Roma-Frauen_und_Kinder.jpg تاريخ الاطلاع 2020/10/11 (شكل 10)
- 5- <https://www.nytimes.com/2014/04/10/t-magazine/tasveer-foundation-subjects-spaces-women-in-indian-photography.html> تاريخ الاطلاع (12 و 13) (شكل 12 و 13)
- 6- <https://www.shutterstock.com/image-photo/sibiu-romania-august-8-2019-bohemian-1500182009> تاريخ الاطلاع 2020/10/11 (شكل 14)

¹ Hussain Bux Malla, " Gypsies among us ", Published Research Paper, ResearchGate, page 3.

² Alexandra Parrs, "Gypsies in Contemporary Egypt: On the Peripheries of Society", electronic edition published in 2017, The American University in Cairo Press, Page 17,18.

³ Elena Marushiakova and Vesselin Popov, "Gypsies in Central Asia and the Caucasus", 2016, palgrave macmillan, page 75-78.

⁴ Elena Marushiakova and Vesselin Popov, نفس المرجع Page 79.

* كلمة "بوهيمية" تعني غريب الأطوار، انفصام شخصيه، غير أخلاقي ، في كثير من الأحيان. لكن البوهيمية كانت و ربما لا تزال تعني (تخويف الخيول) وهو في الأصل مصطلحاً له معاني تحقيرية تُعطى للعجر ، ويُعتقد عمومًا أنها نشأت في بوهيميا في وسط أوروبا. ويذكر تعريف قاموس أوكسفورد الإنجليزي للكلمة على أنها شخصًا ما "لا سيما فنان أو رجل أدبي أو ممثل يعيش حياة حرة أو متشردة أو غير نظامية ، ولا يكون خاصًا بالمجتمع الذي يتردد عليه ، ويحتقر التقاليد بشكل عام"، Today, Radio 4, By Andy Walker, <https://www.bbc.com/news/magazine-12711181> ، تاريخ الإطلاع 2020/10/9 .

⁵ Hussain Bux Malla, المرجع السابق, page 2

⁶ Alexandra Parrs, المرجع السابق, Page 19.

⁷ Alexandra Parrs, المرجع السابق, Page 21.

⁸ صبري نبيل صبحي حنا ، "جماعات العجر ... مع إشارة خاصة للعجر في مصر والبلاد العربية" ، دار المعارف ، الطبعة الأولى 1980، ص 42.

* ShilpaAhuja.com هو جزء من [Shilpa Ahuja Digital Media](http://ShilpaAhuja.com) وهي شركة نشر عبر الإنترنت تتضمن أيضًا HowtoGetinto.com دليل القبول بجامعة هارفارد ، و CareerNuts.com موسوعة مهنية .
تاريخ الإطلاع 2020/10/9 <https://shilpaahuja.com/gypsy-clothing/>

** نمط مركب ومميز من الأشكال المنحنية ذو أصول وجذور هندية فارسية قديمة ، على شكل ريشة أو على شكل دمعة بنهاية علوية منحنية وتسمى في أحيان كثيرة بـ (كشمير).

⁹ <https://shilpaahuja.com/gypsy-clothing/>